مجلة آفاق سينمائية | عدد خاص: السينما والأوبئة | السنة: فيفري 2021 | ص – ص : 54–72

الأعمال التلفزيونية التسجيلية كآليةٍ للوقاية والتوعية ضد مخاطر الأوبئة المعدية في زمن جائحة كورونا

قراءة تحليلية في محتوى سلسلة "Pandemic" الأمريكية التسجيلية

Documentary T.V series as a method of prevention and awareness against infectious epidemics in the age of Coronavirus pandemic

د.محمد أمين بن شراد[1]*، أ.عبد القادر نهاري[2]

[1] جامعة باتنة1، الجزائر، mohamedamine.bencharad@univ-batna.dz

[2] المدرسة الوطنية العليا للفلاحة، الجزائر، kader.nehari88@gmail.com

تاريخ الاستلام: ../../2019 تاريخ القبول: ../../2019 تاريخ النشر:

ملخص:

يهدف هذا المقال العلمي إلى الإجابة عن إشكالية توظيف الأفلام والسلاسل التلفزيونية التسجيلية المنتجة خلال السنوات الأخيرة كأداةٍ للتوعية من الأوبئة ومخاطرها، خاصةً مع الانتشار الكبير الذي يعرفه عالم اليوم لفيروس كورونا المستجد "كوفيد19".

وباعتماد منهج تحليليّ لمحتوى سلسلة "بانادميك" (Pandemic) الوثائقية الأمريكية المرتبطة بموضوع دراستنا، تمّ رصد دور هذه السلسلة في تقديم النصائح الوقائية والتفسيرية لتفادي الإصابة بالعدوى، وكيفية التعامل مع آثار انتشار المرض وتفشّيه.

وقد خلصت الدراسة إلى أنّ هذه السلسلة التسجيلية نجحت وإلى حدٍّ كبير في أن تحِلَّ محل الأدوات التثقيفية التقليدية التي يستعين بها من يبحثون عن أجوبة خلال مثل هذه الأزمات بفضل الميزات الإقناعية التي تتمتع بها الأعمال التسجيلية، والتي شكّلت مصدراً قيّمًا وغير تقليدي للتوعية والوقاية من الأوبئة المشابهة للوباء المستجد.

كلمات مفتاحية: الأفلام التسجيلية، فيروس كورونا المستجد، كوفيد 19، الوباء، المحتوى التلفزيوني التسجيلي.

* **محمد أمين بن شراد،** mohamedamine.bencharad@univ-batna.dz

Abstract:

This scientific article is an attempt to reach an objective answer on a issue centered on the employment of the documentary series produced during the last years as a tool of prevention and awareness against infectious epidemics in the age of Coronavirus pandemic.

Monitoring the most important advices that took place on the "PANDAMIC" american documentary series, and how to deal with it from different aspects.

This study proves that documentary series can replace the traditional tools and sources of health information due to it persuasion features.

Keywords: documentary series; Coronavirus; pandemic; covid 19; T.V content.

1. مقدمة:

منذ الظهور الأول لها، مثّلت الأعمال التسجيلية أداةً حيويةً في تسجيل الأحداث وتأريخها، ومعالجتها والتوثيق لها زمن حدوثها، ونجحت في مسّ جميع جوانب الحياة والاقتراب منها، سواءً بمواضيع اجتماعيةً أو سياسيةً، أو ثقافيةً أو صحية أو غيرها، وقد حقّقت في ذلك نجاحات عالمية مشهوداً بها.

ومنذ بداية الـ(2020)، عرفت دولة الصين انتشارًا غير مسبوق لفيروس كورونيّ معدٍ يعرف باسم "كوفيد 19" (COVID-19)، تحوّل خلال بضعة أسابيع إلى جائحة عالمية مسّت جميع دول العالم، رافقها تضاربٍ كبير في المعلومات حول الفيروس المُستجِّد وآثاره الصحية المحتملة و/أو الفعلية، خاصةً مع انتشار كمٍّ هائل من الأخبار الكاذبة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتداول الأفراد من ذوي المستوى الفكري البسيط مناشير ومعلومات غير مُؤسسة من مواقع الانترنت غير الموثوقة، تتناول في مجملها نظريات مؤامرةٍ وحروباً بيولوجيةً محتملةً وأنباءً عن قرب نهاية العالم وفنائه.

وفي سبيل دحض الخرافات والحصول على معلومات صحيحة وواقعية، لجأ كثيرون إلى مصادر متنوعة تحمل قدراً عالياً من المصداقية مقارنة بالمصادر الشائعة التي تحتمل قدرا كبيرا من التزييف، وقد مثّلت الأفلام والسلاسل التسجيلية أهم هذه المصادر، بالإضافة إلى المصادر التقليدية الموثوقة الأخرى، كالموسوعات الطبية مثلاً.

وفي الولايات المتحدة –التي تعدّ البلد الأكثر إنتاجًا للأفلام التسجيلية– ظهرت بضع مئات من الأعمال التسجيلية الريادية والجريئة التي عالجت مواضيع الأوبئة والأمراض بطرقٍ متنوعةً ومميزة وجادة، وذات معلومات موثوقة في أغلبها حتى قبل انتشار الفيروس المستجد، وقدمتها للمشاهدين في جميع أنحاء العالم بالشرح الوافي وبأفضل صورة وأعمق محتوى.

ومع اكتساح الجانحة الجديدة لأغلب مناطق العالم، سجّلت قاعدة بيانات الأفلام والمسلسلات على الأنترنت (IDMb) عودةً قوية لسلسلة باندامیك (Pandamic) التسجيلية بـ230 ألف بحثٍ يوميًا، وارتفاع التقييم الخاص بها إلى (88%) حسب الأرقام التي وضعها الموقع على واجهته في الخانة الخاصة بالتوصيات السينمائية والتلفزيونية حول "المصادر الفنية الموثوقة للوقاية من جانحة كوفيد 19" (COVID-19).

وإذا كان مصطلح "الوقاية اللانمطية" يشير إلى توجّه الأفراد نحو مصادر غير تقليدية لكنها ذات مصداقية عالية في المخيال الجمعي للحصول على معلومات وقائية أو طبية موثوقة أيام الأزمات كالأفلام التسجيلية مثلا، فإن هذا المقال العلمي سيتعرّض لدور هذه السلاسل التسجيلية في التوعية من أوبئة سابقة ومشابهة للفيروس المستجد، عبر تقديم قراءة في الأدوات التي تقترحها سلسلة "باندامیك" (Pandamic) محل التحليل للوقاية من أوبئةٍ وجوانح سابقةٍ يمكن إسقاطها على الوباء الجديد والآليات التي تعتمدها في توعيتها هذه، وذلك بهدف استقراء دور وقيمة الأعمال التسجيلية باعتبارها مصدرًا موثوقا للمعلومات

الوقائية (ضمن مجموع الأدوات الأخرى التي قد يلجأ إليها كل شخص في مثل هذه الحالات الحرجة)، مستعملين في ذلك منهجًا استقرائيًا تحليليا لمحتوى هذه السلسلة، بغية الوصول إلى نتيجةٍ حول إشكالية هذا المقال المتعلقة بالآثار التي "قد" يتركها محتوى السلسلة العلمي الدقيق في تشكيل الدفاعات الوقائية الأولية للمتفرجين نحو جائحة كورونا المستجدة.

2. الأفلام والسلاسل التلفزيونية التسجيلية –مقاربة مفاهمية:

1.2 مفهوم العمل التسجيلي:

يكاد يُجمع المشتغلون في مجال الأفلام التسجيلية على تعدّد التعريفات المُحددة لمفهومها في الأدبيات الكثيرة التي تناولته، لكنها تلتقي عمومًا في كون الفيلم التسجيلي "فيلماً غير روائي يسعى إلى توثيق جوانب من الواقع لإثبات سجلٍ مصورٍ عنه، يتناول وقائع تاريخية محددة"[1]، مع تأكيدنا على أنّ المقصود بكلمة "تاريخية" ليس التعامل مع التاريخ أو الماضي فقط، بل تناول مادةٍ مُثبتةٍ تتناول الوقائع في زمنٍ ما قد يكون قريبًا أو بعيداً، أو في زمن الحاضر ساعة تسجيل المادة الوثائقية، في حين حاول المُنظّر الأمريكي "بول وارد" (P. Ward) تبسيط النظر إلى التسجيليات وتمييزها، من خلال تعريفه لها بشكل مقتضب ومكثّفٍ على أنها "كل فيلم غير خيالي"[2].

فالفيلم التسجيلي هو ذلك النوع من الأفلام غير الروائية التي لا تعتمد على القصة أو الخيال بقدر اتّخاذه مادته من واقع الحياة، سواءً كان ذلك بنقل الأحداث مباشرة كما جرت في الواقع، أو عن طريق إعادة تكوين هذا الواقع وتعديله بشكل قريب من الحقيقة الواقعة، ويعتمد هذا النوع من الأفلام على "فكرة" رئيسيةٍ واحدةٍ، تكون لها قيمةٌ اجتماعيةٌ وثقافيةٌ ذات مضمون درامي، مهمتها تقديم المعارف والمعلومات بطريقة مشوقة وفنية، ولها في ذلك أشكالٌ متعددة ومدارسٌ فنيةٌ مبتاينة[3].

فالفيلم التسجيلي هو بالأساس تلك المعادلة الموضوعة للوصول إلى الواقع عن طريق الفن، باعتباره الخطّ الأول للتعليم حسب المخرج "مايكل مور" (M. Moore)، إنه "حاصل جمع الحقيقة مع وجهة نظرك الخاصة" [4].

لكن الباحث السينمائي الأمريكي "كارل بلانتينيا" (C. Plantinga)، يسارع إلى وضع ضوابط "فنية – علمية" من أجل تعريف الفيلم التسجيلي في دليل "روتليدج" العالمي للسينما والفلسفة (routledge handbook)، إذ يصرُّ على أنّه علينا بدايةً تحديد الشروط الضرورية والكافية لوصف الفيلم التسجيلي، ويرى أنه لكي نحدد تعريفه فإنّ علينا أولاً أن نحدّد سماته الخاصة [5]، وهو ما قد يراه البعض أمرًا طموحًا لكنه مستحيلٌ، خاصةً بالنسبة لهؤلاء الذين يعتبرون مفهوم السينما التسجيلية مفهوماُ مفتوحاً أو مبهماً غير قابل للضبط.

أمّا الإتحاد الدولي السينما، المُتأسّس عام (1948)، فيعرّف التسجيليات بأنها "كافة أساليب التوثيق عبر فيلمٍ يُظهر لنا الحقيقة، يتمّ عرضه أو إعادة بنائه بصدقٍ عند الضرورة، وذلك لتحفيز المشاهد على عمل شيء ما لتوسيع مدارك المعرفةن وغيجاد حلول للمشاكل، وأيضًا لفهم العلاقات الإنسانية"[6].

وإذا كان الأمريكيون والروس قد استحوذوا مطولاً على المدرسة التنظيرية للفيلم التسجيلي، وكثيراً ما يُسْتحضر تُراثهم النظري في تقديم هذا النوع من الأفلام، فقد برزت بعض المدارس التنظيرية الأخرى ذات القيمة الفنية العالية، أهمها المدرستان الفرنسية والإنجليزية، أمّا المدرسة الإنكليزية فتؤكد عبر مخرجها ومنظّرها الكبير "بول روثا" (P. Rotha) على أنّ "الفيلم الوثائقي هو التعبير عن حياة الناس ومعيشتهم كما في الواقع، باعتماد أسلوبٍ اجتماعي وبطريقة خلاّقة، يُسلّط الضوء على الماضي، ويُشرِّح الحاضر ويثري ويغذي المستقبل"، ويشاركه في ذلك مواطنه "ريتشارد ماكين" (R. Mccann) الذي يقول أنّ "أصالة الفيلم الوثائقي لا تنبع من اعتماده على مادة من الواقع بقدر ما ترجع إلى

أصالة توظيف هذه المادة الواقعية، حيث أن وثائقية النتيجة هي الأهم، وهي المُحكّم الأوحد في الفيلم الوثائقي وليس وثائقية المادة المصورة"، لأن الأفلام التسجيلية حسب المخرج البريطاني "بازيل رايت" (B. Wright) ما هي إلا "طريقةٌ لتناول فرع من فروع المعلومات العامة، وآلية للاقتراب من الإعلام الجماهيري"[7].

2.2 مصادر محتوى الأعمال التسجيلية:

إنّ واحداً من أشهر التعريفات المرجعية التي تحدثت عن العمل التسجيلي وحاولت ضبطه، هو ذلك الذي وضعه الناقد والمخرج الانكليزي الشهير "جون جريرسون" (John Grierson) عام (1923)، حيث يعرّفه بأنه "المعالجة الخلاقة للواقع" [8] the creative interpretation of reality، وهو التعريف المقتضب والمكثّف الذي يختصر "مصدر" المحتويات التسجيلية، وهي المصادر التي يمكن النظر إليها وفق منظورين اثنين هما:

الأول: الواقع الموضوعي، والذي قد يأخذ أشكالاً متعددةً، قد تتجلى إمّا في الطبيعة بكل مكوناتها وعوالمها، وظواهرها المرئية والمسموعة، الحيّة منها أو الجامدة، الثابتة منها أو المتحركة، وإما في البيئات الاجتماعية والمدنية والتي قد تظهر في شكل حراكٍ اجتماعي إنساني يشمل كافة المستويات، كالعادات والتقاليد والأعراف، والقيم السائدة في المجتمع، وما يقف خلفها من معتقدات مادية أو دينية، أو أسطورية أو غيرها، أو حتى في العمران بكل وظائفه الخاصة والعامة، المدنية منها والدينية، السكنية منها والاقتصادية، وبكل أنماطه الحديثة والتقليدية والتاريخية وغيرها، وما يجري فيها من أنشطة في مجالات البحث والتنقيب والترميم، وأخيرًا أنماط السلوك الإنساني في كل حالاتها، السوية منها والمرضية، وفي كل المراحل العمرية للإنسان، والتي تشكل في مجموعها المصادر الأكبر الأشمل لمواد الأفلام التسجيلية وأفكارها.

أمّا المنظور الثاني فيتعلق بطريقة معالجة هذا الواقع الموضوعي، أي إعادة تنظيم مادة هذا الواقع، ومدّ المخرج التسجيلي بالأفكار، التي ومن خلال التصوير والمونتاج، والتعليق والميكساج يستطيع تقديم هذه المادة للمتلقي بأسلوب فنيّ إبداعيّ، يعكس رؤية الكاتب والمخرج، بما يحقق الأهداف المنشودة[9].

فالحياة الواقعية إذاً هي المصدر الأول لكل فعل تسجيلي، وفي هذا الصدد تصرّ الموسوعة البريطانية الجديدة على تحديد "مصدر" الفعل التسجيلي وأفكاره، وتقول بأنّ "كلّ نوعٍ من الأفلام السينمائية غير الروائية، لا يجب أن يتضمن قصة أو خيالا، إنما يتّخذ مادته السينمائية من واقع الحياة، فيصوّر هذا الواقع ويُفسّر حقائقه المادية أو يعيد تكوين هذا الواقع وتعديله بشكل يعبّر عن الحقيقة الواقعة، بهدف تحقيق غرضٍ تعليميٍ أو ترفيهيٍ"[10]، ومن جهته، فقد جنح الإتحاد الدولي للسينما الوثائقية في اجتماعه لسنة (1948) إلى تقديم تعريفٍ مرنٍ لمصدر التسجيليات، جاء فيه أنّ هذه الأخيرة "هي كل طريقة تقوم على تسجيل أي عنصر من عناصر الواقع أو أي مظهر من مظاهر الحقيقة عبر التصوير المباشر للحقائق الواقعية أم بواسطة المحاكاة الدقيقة والأمينة لهذا الواقع، وإعادة بنائه بصدق، بهدف مخاطبة عقل ووجدان المشاهد لتحفيزه وتوسيع مداركه وإثارة الرغبة فيه للمعرفة والفهم، ومحاولة مواجهة المشكلات بصدق ووضع حلولٌ لها"[11].

وبالإسقاط على الجائحات الوبائية التي عرفها العالم، فإن سلسلة "باندااميك" (pandamic) محل التحليل، اعتمدت في فكرتها على أحداث واقعية وجمعت قدرا هائلا من المعلومات التاريخية والطبية حول جوانح سابقة، وأعطت تعليمات وقائية وتوعية موثوقةً يمكن للمشاهدين الاستفادة منها في تعاملهم مع الفيروس المستجد.

وتكتسب الأعمال التسجيلية الطبية والوقائية مثل السلسلة محل التحليل قيمتها بناءً على تحقيق المغزى الذي ينطوي عليه كل عمل تسجيلي، بتناوله للواقع أو الفكرة التي يريد

معالجتها عبر المقابلات الشخصية مع الجهات الطبية والعلمية الرزينة، والأرشيف الموثق، استخدام شهود العيان، والصور الفوتراغرافية، والرسائل والمذكرات، وأيضًا استخدام برمجيات الحاسوب الإحصائية الطبية الكثيرة [12].

ويمكن أن نُجمل القول في كون مصادر الباحثين والمشتغلين على الأعمال التسجيلية تلتقي في معظمها في النقاط التالية:

1- الاعتماد على الملاحظة والإنتقاء من الحياة نفسها، فهو لا يعتمد على موضوعات ممثلة في بيئة مصنعة كما يفعل الفيلم الروائي، إنما يصوّر المشاهد الحية والوقائع الحقيقية.

2- تنظيم المادة الفيلمية على ضوء فهم الواقع فهمًا ناجحًا ودقيقا، وبعد دراسة متأنية للواقع، وتوظيف عناصر الواقع هذا لتغيير الموضوع أو الحدث.

3- يأخذ العمل التسجيلي مادته من الواقع بالأساس، ويُسجّل واقعيًا لأحداث وقعت بالفعل ولا تحتاج إلى ممثلين محترفين (في الأصل)، ولكن الأشخاص في الواقع هم من ينقلون الحدث نفسه.

4- يمكن استخدام المواد الأرشيفية من صور وتعليقات الفيلم الوثائقي التسجيلي.[13]

5- تظل موضوعات التسجيليات معتمدة على الملاحظة لأحداث الحياة اليومية للأبطال الحقيقيين لها دون اللجوء إلى استخدام الممثل المحترف، أين يتم اللجوء كثيرا للهواة في إعادة تمثيل بعض الأحداث[14].

3. فيروس "كورنا" المستجد: من العدوى إلى الجائحة، ودور السلسة في الفعل الوقائي:

1.3 نعريف فيروس كورونا:

إن أفضل تعريف موثوق يمكن لنا اللجوء إليه للتعرف على ماهية فيروس كورنا المستجد (كوفيد 19) هو ذلك الذي تضعه منظمة الصحة العالمية (WHO) على واجهة

موقعها الالكتروني الرسمي، وهو التعريف الذي يبدأ بالتأكيد على كون الفيروس المستجد ينتمي إلى زمرة واسعة من الفيروسات التاجية، والتي يمكنها أن تتسبّب في مجموعة من الإعتلالات للبشر، تتراوح ما بين نزلة بردٍ عادية وبين متلازمة تنفسية حادة، كما أنّ الفيروسات من هذه الزمرة تنتقل إلى البشر عبر عددٍ من الاحتكاكات مع الحيوانات المريضة التي تُعدّ المصدر الأول لها، وتشتهر هذه الفيروسات بقدرتها الشديدة على العدوى[15]، في حين تشير منظمة "أطباء بلا حدود" غير الربحية إلى أنّ "هذه السلالة الخاصة من فيروس كورونا لم تُحدد ولم تُرَ من قَبل في البشر، والمعلومات المتاحة عنها إلى غاية اليوم محدودة للغاية، كما أنّ طريقة ظهورها وكيفية انتقال هذا الفيروس للبشر ووخامته، وأثره السريري واستجابة اللقاحات المحتملة له مازالت في مجملها ضعيفةً وناقصةً" [16]، ما يجعل الوقاية والحذر بالإضافة إلى الحجر الصحي الطوعي، والحصول على المعلومات الطبية والوقائية المناسبة ومن مصادرها الموثوقة (بما فيها الأفلام التسجيلية) هي الأدوات الفعالة الوحيدة المتاحة حالياً.

ويشير الدكتور "تساو تشاولونغ" (Tsaw Tchawlong) كبير دكاترة الطب التنفسي في جامعة "بكين"، والمسؤول عن جمع وفرز المعلومات الطبية عن الفيروس المستجد، في كتابه "الدليل الموحد للأسر ضد فيروس كورنا" (والصادر بجميع اللغات العالمية بما فيها اللغة العربية، والمطروح مجانا للتداول في نسخة مطبوعة وأخرى رقمية مجانية ومرخصة) إلى مجمل الأعراض التي تستلزم مراجعة الطبيب في العاجل، حيث يؤثر الفيروس حسبه في الأشخاص بطرق مختلفة، لكن معظم من يصابون به يعانون أعراضًا طفيفة إلى متوسطة ويشفون غالباً من دون دخول المستشفى، في حين قد يحتاج آخرون إلى إنعاش تنفسي سريع ومكثّف، أما عن الأعراض الأكثر شيوعًا، فلخصها في حمّى، سعال جاف، إرهاق، مع آلام وأوجاع والتهاب الحلق وإسهال، وفقدان حاستي التذوق أو الشم، مع طفح

جلدي، أو تغير في لون أصابع اليدين أو أصابع القدمين، مع صعوبة أو ضيق في التنفس ألم أو ضغط في الصدر في الحالات المعقدة[17].

مع تأكيده على أن ظهور الأعراض يستغرق في المتوسط خمسةً إلى ستة أيام منذ إصابة الشخص بالفيروس، وقد يستغرق ظهور الأعراض حتى أربعة عشر يومًا.

وفي وقت لاحقٍ، رفعت منظمة الصحة العالمية مرتبة تفشي "كوفيد-19" من درجة وباء إلى درجة جائحة، وعن الفرق بين المصطلحين فيوضّح د.محمد الدسوقي، استشاري الأمراض الصدرية بجامعة المنصورة بمصر، أن "الوباء" هو ظهور حالات أمراض معدية في دولة أو مجموعة دول صغيرة متجاورة، وينتشر بصورة سريعة بين الناس، أما "الجائحة" فهي ظهور حالات لأمراض معدية في دول العالم بأسره، وتكون عملية السيطرة على الحالات المرضية على مستوى العالم صعبةً، مما يهدد صحة الناس ويتطلب إجراء تدابير طبية سريعة، وخطط عاجلة لإنقاذ البشر[18]، مؤكدا على أن التدابير الوقائية لواجب اتخاذها هي نفسها في شكلها العام، ولكنها تختلف من دولة لأخرى حسب الإمكانات الصحية وطبيعة الناس والعوامل البيئية وأعداد املصابين الحاليين، وعوامل أخرى.

2.3 الفعل التوعوي والوقائي من الفيروسات في سلسلة باندامیك التسجيلية الأمريكية:

مع انتهاء الباحثين من قراءة مستفيضة لمحتوى لسلسة "باندامیك" (pandamic) التسجيلية الأمريكية حول الأوبئة والأمراض، وفق استمارة تحليل للمضمون ركزنا فيها على ناحية المحتوى تحديدا، تمّ التوصل إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

عن العناصر الطبية والوقائية أثناء الأوبئة: لقد نجحت السلسة التسجيلية محل التحليل في تزويد المشاهدين بعديد المعلومات الصحية حول الأوبئة وطرق الوقاية منها، بطريقة مباشرة وسهلة ودقيقة وعلمية وغير قابلة لسوء التأويل أو نقص الفهم حول طرق العدوى، وسبل تجنبها، وأشكال العلاج المحتملة، وكذا إعطائها تعليمات حول طرق ضمان

التباعد الاجتماعي واعتماد التعقيم الدوري، وتفادي الطب الشعبي أو البديل أو القفز على البروتوكولات الطبية المعتمدة والمرخصة.

مع الاستفاضة في الحديث عن الأطباء الذين يعدّون الخط الدفاعي الأول ضد كل وباء معدٍ، وعلاقتهم التي تكاد تكون حميمية وخاصة مع مرضاهم، وجماليات سرية هذه العلاقة وخصوصيتها.

عن القيم الإنسانية خلال الأوبئة: والتي تمظهرت في الصراع الداخلي اليومي الذي يعيشه كل مصاب بُعيد تشخيص مرضه، ورغبته أحياناً في عدم مشاركة الخبر مع عائلته خوفا عليهم وعلى روتينهم، وعدم رغبته في إفساد حياتهم، وكذا علاقة المريض المركبة مع المقربين منه بعد علمهم بإصابته بالعدوى، إن كان مع أفراد العائلة والنماذج القائمة على التضحية من طرفهم و/أو محاولتهم تقبل المصاب كما هو ودعمه، كما أعطت السلسلة نماذج عن القيم الانسانية في زمن الأوبئة، على مواقع التواصل أو دائرة الأصدقاء، أو مع طاقم إدارة وظيفة المصاب وزملاء العمل، مع تخصيص حيّز زمني لا بأس به في العلاقة الإنسانية العميقة بين المصاب وطبيبه المعالج، خاصةً مع تزايد خطر العدوى الذي يواجهه أي طبيب، والصراع الانساني "التاريخي" بين مبادئه الإنسانية كطبيب وبين خوفه المبرر كإنسان.

كما نستخلص قيمًا إنسانية أخرى، أبدع معدو السلسلة في نقلها، وهي القيم المرتبطة بالمرضى وكيفية تقبلهم لإصابتهم ومن ثمة محاربتهم إياها بشتى الطرق، وتمسكهم بالأمل، وقرارهم عيش اللحظة كما هي كل دقيقة كأنها آخر دقيقة، إضافةً إلى عرض السلسلة مشاهد إنسانية للحالة التي يعيشها نزلاء مراكز الإيواء الوحيدين في أغلبهم، والبعيدين عن محبيهم، والذين بالكاد يتذكرهم أحد مع وفاة أحد منهم، مع تشجيع المشاهدين على أخذ حيطتهم بناءً على التجارب المريرة التي خاضها من تمّ استعراض قصصهم الشخصية في السلسلة.

عن الحياة الاجتماعية والثقافية أيام الحظر وانتشار العدوى: وذلك من خلال تعرفنا على نمط حياة المصابين بالعدوى خلال الانتشار التاريخي للأوبئة منذ القرن الـ18 إلى غاية آخر وباءٍ منتشر (وباء سارس سنة 2002)، وحياة الأفراد المجتمعية قبل وبعد تشخيص الوباء، واقترابنا من القيم الفكرية والثقافية التي يتشبع بها المجتمع خلال مثل هذه الأزمات، وإدراكه العميق لما يحدث وكيف ينهار بسرعة، وتعرفنا على أسلوب ضبط المجتمع خلال العدوى، والذي انتقل من الاحتكاك بالعائلة والعمل وممارسة الرياضة والاستمتاع بالحياة، نحو فقدان الأفراد لهذه الاشياء العادية والبسيطة وأثر ذلك، وعن محاولة أعضاء المجتمع التمسك بالحياة مجددًا بعد التعرف إلى قيمتها الحقيقية.

كما برزت قيمة ثقافية أخرى، بإعطاء السلسلة الفرصة لذوي التجارب السابقة مع الحجر والعدوى لإيصال قصصهم كأناس مرضى وتقديم نصائح علاجية ووقائية ذهبية، وهي قيمة إيجابية بامتياز، تقابلها قيمة اجتماعية سلبية أخرى، تمثلت في استعراض طريقة التعامل البارد لبعض الأشخاص مع المرضى أثناء الوباءات وإصابتهم، والتي وصلت إلى حد الشتم والسب والطرد من العمل والتهميش الكلي من الدوائر الاجتماعية، وقد سعى العمل إلى شرح خطورة هذه الأفعال وخطئها.

مع تشجيع المشكوك فيهم التقدم للكشف الطبي من جهة، ومن جهة أخربدعوة المشاهدين إلى تنمية قيم التسامح والغفران مع كل مصاب حالي أو سابق، ومد جسور التواصل معهم.

وبالإضافة إلى ما تم إيراده أعلاه، فإن تحليل السلسة أدّى للتوصل لنتائج عدة تلخص في:

1. وُفِّق صُنّاع العمل في العنوان الذي تمّ وضعه للسلسة التسجيلية، من خلال تركيز العمل على فكرة "الوباء" والعدوى وتقديمها بطرق توثيقية علمية طبية، مع أبعادٍ اجتماعية

وإنسانية مناسبة، وتصحيح جميع المفاهيم المغلوطة في التعامل مع المرضى، وطبعًا الوقاية من المرض وطرق التعامل معه على المستوى الفرد والجمعي والحكومي.

2. أُقتبست فكرة العمل من كتبٍ وسيرٍ ذاتية كُتبت في مجملها عن شخصياتٍ حقيقية، بالإضافة إلى قيام فريق السلسلة بعملٍ توثيقي كبيرٍ خاصٍ بالجوانب الطبية والوقائية، وقد نجحت السلسلة إلى حد كبير في نقل هذه التفاصيل الطبية والوقائية والحقائق التاريخية، والحفاظ على سير الشخصيات الطبية أو المرضية التاريخية التي تمّ تناولها وإعادة بنائها تسجيليا، مع التنويه إلى حقيقة أنّ النقل المعلوماتي للحقائق الطبية والوقائية كان على درجة كبيرة من الواقعية والحقيقة، ما أضاف الكثير من الواقعية لهذا العمل التسجيلي.

3. اعتمد مخرج العمل كثيرا على اللقطات المقربة والجد مقربة والنصف مقربة باعتبارها من اللقطات الحكواتية السردية التي تستعمل عادةً لتقديم معلومات مكثفة (معلومات صحية وطبية ووقائية وتاريخية في حالتنا هذه)، بحيث تكون هذه اللقطات سهلة التذكر والانطباع في ذهن المتلقي، خاصةً مع توظيف زوايا تصوير مناسبةٍ، والتي وُفّقت في نقل مختلف الرسائل والمشاعر والعواطف المُراد توصيلها، مع اعتماد مشاهد قصيرة نسبية ومتتالية لإعطاء إيحاءٍ بتسارع الحالة المرضية للأوبئة المعدية، وفقدان المجتمعات للكثير في وقت وجيزٍ.

4. أمّا عن الألوان الغالبة على العمل، فقد كانت ألوانًا ترابية حيادية بامتياز، مثل البني الغامق، والرمادي بدرجاته، والأزرق الغامق وغيرها، والتي تحمل في مجموعها رسائل عميقة عن الحالة النفسية التي يترك أي وباءٍ على الأفراد والمجتمعات.

5. وفيما يخص تعامل الأصحاء مع المصابين خلال انتشار أي عدوى، بما فيها العدوى الحالية التي يعيشها العالم، فإنّ مجمل الدلالات الموظفة في مختلف الصور الفيلمية لهذا العمل تحاول تقديم وبناء صورةٍ ذهنية طيبة وإيجابية عن المرضى المصابين، مع

الدعوة إلى معاملتهم كأناسٍ طبيعيين، وأنّ على أفراد المجتمع الموبوء تفهم بعضهم، ومساعدة العاجزين على الاندماج في المجتمع بوضعيتهم الجديدة.

6. في هذا العمل التسجيلي دعوة عميقة ومبطنة لتفهم المصابين (خاصةً في المجتمعات الرأسمالية ذات النزعة الفردانية) من خلال استنكار مشاهد فرار الأبناء أو الممرضين من المنازل أو دور العجزة التي فيها إصابات كثيرة، مع الدعوة صراحة وبالأدلة الطبية إلى ضرورة البقاء معهم مه اتخاذ إجراءات السلامة والوقاية والحرص على تقبل المصاب كما هو، ومعاملته برفق وطيب والاهتمام به إلى آخر لحظة، وتغيير النظرة السلبية نحوه لأن المرض يعبر عن حالة المريض وليس عن ذاته.

7. نجح العمل في تقديم الأوبئة وطرق التعامل معها من جميع جوانبها، بما فيها من صراعات داخلية وعلاقة المرضى مع محيطهم العائلي والمهني والطبي، كما قدمت السلسلة معلومات هامة ومفيدة بطريقة غير مباشرة، وبعيدةً عن الوعظ وأسلوب النصح المباشر أو الوصاية، بل من خلال مواقف يتم فيها دفع المشاهد إلى بناء قناعاته.

8. كما زاوجت الرسائل المقدمة في السلسلة بين الأسلوبين العقلي والعاطفي للإقناع والموازنة بينهما أعطت للعمل قيمة كبيرة.

9. تؤكد السلسلة على أن الإصابة بالعدوى أوقات الأوبئة لا تفرق بين صغير أو كبير أو صحيح وعليل، وأن الكُلّ معرضٌ للإصابة بالمرض، وأنّ الاحتياطات واجبة على الجميع، فالمرض يصيب النساء والرجال، ويمس الغني والفقير، المتعلم والجاهل، والقوي والضعيف، الأسود والأبيض، "إن الوباء لا يمس فئة واحدة بعينها، بل الكل مستهدفٌ".

10. جاء العمل غنيًا بالقيم الإنسانية والاجتماعية والفكرية والثقافية والطبية، واعتمد على أسلوب "الموقف" في بناء الحكم، والابتعاد عن الأسلوب المباشر والمبتذل، مع الاعتماد على قصص واقعية والنظر إليها من جميع زواياها، والاستناد إلى أسلوبٍ قصصي سردي ذو

إيقاعٍ سريع يبتعد عن المط والمشاهد الطويل المملة، فجاء العمل خفيفا ومكثفا، مع توظيف الألوان والأرقام والإحصاءات وشهود العيان بشكلٍ حسنٍ بما يخدم الأفكار المراد التعبير عنها.

11. نجح العمل في التخفيف من الأحكام المسبقة والخاطئة عن الأوبئة وبأنها غير قابلة للقهر، وخفّف من حدّة حالة الهلع التي تثيرها مثل هكذا عدوى، والتي تكون عادةً مغلوطة أو عدائية ومبنية على ما تبثه وسائل الإعلام الجماهيرية، أو مواقع التواصل الاجتماعي، وباقي المصادر غير الموثوقة شائعة الاستعمال.

مع تنويهنا أخيراً، إلى أنّ العمل محل التحليل يبقى صفحةً مفتوحة على قراءات متعددة بتعدد مستويات فهمها، ومرتبطة أساساً بالمستوى الفكري لصاحبها ومدى رفبته في الحصول على معلومات طبية ووقائية من مصادر متنوعة ومختلفة، وتمثل هذه القراءات تقاطعا ذهنيا لتشكيلات أدبية وبصرية وفيلمية (مونتاج وتتابع سردي سينمائي) عند كل مشاهدٍ أو باحثٍ عن المعلومة.

4. خاتمة:

من خلال دراساتنا التحليلية هذه لدور السلاسل التسجيلية في تنمية الأساليب الوقائية اللانمطية وغير التقليدية ضد مخاطر الأوبئة المعدية، خاصة في هذه الأيام التي نشهد فيها انتشارا غير مسبوق لفيروس "كورونا" المستجد والذي تحول إلى جانحة عالمية، سمح لنا التحليل المنجز على محتوى سلسلة "باندامیك" (pandamic) التسجيلية الأمريكية الشهيرة بالخروج بنتيجةٍ عامة، مفادها أنّ صناع السلسلة نجحوا وإلى حد كبير في تقديم صورة صحيحة وواقعية وموضوعية عن الأوبئة أولاً، وعن كل مصابٍ وكيفية التعامل معه اجتماعيًا وإنسانيا وجب فهمه والوقوف بجانبه ومسايرته أثناء رحلته هذه، وثانياً تقديم قدرٍ هائل من التوصيات الوقائية والمعلومات والأرقام والآراء الطبية المختصة وشهود العيان ذوي

التجارب السابقة، وذلك من أجل بناء وعيٍ جمعيٍ متمكن من التدابير الوقائية ومُقدّرٍ لدورها في تقليل الإصابات والتغلب على الوباء وزحفه، أين نجحت السلسلة في إفهامنا بأنّ الجميع معرضون للإصابة بالعدوى باختلاف أجناسهم وأعمارهم وأعراقهم ومستواهم الفكري والثقافي وأنّ الجميع معني بهذه المعركة.

لقد جاء هذا العمل التسجيلي معتمداً في تناول موضوع معقد مثل هذا على الطريقة الموضوعية والواقعية، والتي لخّصها بأنّ أفضل طرق تجنب الإصابة هي باتخاذ الإجراءات الصحية الوقائية وتتبع البروتوكولات الطبية، التي تعمقت السلسلة في تقديمها.

مع إشارتنا ختاماً إلى كون هذا العمل البحثي ما هو إلا تسليطٌ لضوءٍ جديدٍ من زاوية محددة لموضوع شديد التساع والتعقيد، وأنّ هذه الدراسة جاءت لتكون مكملةً لدراسات أخرى حالية أو مستقبلية في شرح الأوبئة ومعرفة طرق الوقاية منها، وتقديم نماذج أخرى ومعالجتها بحثيا وأكاديميا بعد معالجتها سينمائيا وتسجيلياً. مع التأكيد على أن الأعمال السينمائية أو التلفزيونية التسجيلية لا تغني عن باقي مصادر المعلومات الأخرى المختلفة، مثل الكتب والموسوعات الطبية ومواقع الانترنت المختصة، والمطويات التي توزع ورقيا أو رقميا، وأنّ على كل من يبحث عن المعلومات الطبية أن يعتمد مصادر موثوقة مثل الأفلام التسجيلية، والحرص على عدم الأخذ بأي معلومة لا تستند إلى مصدر موثوق، خاصةً في الفضاءات العامة أو منصات التبادل الاجتماعي على الانترنت.

5. قائمة الهوامش:

[1] جورج خليفي ونبال ثوابتة: الفيلم الوثائقي دليل مقترح، منشورات مركز تطوير الإعلام لجماعة بيرزيت، ط1، بيرزيت، 2014، ص5.

[2] Paul Ward: Documentary: The Margins of Reality; Columbia University Press and wallflower; Colombia; 2005 ; p07 ترجمة الباحث

[3] نهلة عبد الخالق: دراسة تحليل مضمون للأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية الفضائية، مجلة كلية الآداب، العدد 98، الرياض،2011، ص 414.

[4] إياد الداود: فن التقصي – الفيلم الوثائقي التحقيقي، معهد الجزيرة للإعلام، ط1، الدوحة، 2019، ص 37.

[5] بيزلي ليفجستون وكارل بلاتيناي، دليل روتليدج للسينما والفلسفة، تر أحمد يوسف المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013، ص 784.

[6] حسن أبو حشيش وطلعت عيسى: الصحافة الاستقصائية، مطبوعات كلية الآداب الجامعة الإسلامية، ط1، غزة، 2018، ص 58.

[7] لؤي الزعبي: الأفلام الوثائقية، منشورات الجامعة السورية الافتراضية، وزارة التعليم العالي السورية،ط1، دمشق، 2016 ص 18.

[8]Andrew Goodwin, Garry Whannel; Understanding Television; ed Routledge; London; 2006; p101

[9] علي عزيز بلال: الفيلم التسجيلي التلفزيوني، من الفكرة إلى الشاشة، الهيئة السورية العامة للكتاب، ط1، دمشق، 2013، ص 11و12.

[10] نهلة عبد الخالق، مرجع سبق ذكره، ص 415

[11] لؤي الزعبي، مرجع سبق ذكره، ص 18

[12] عمر نبيل سعيد: تلقي الفيلم الوثائقي والفيلم الروائي المبني على واقعية، دراسة تجريبية مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الإعلام، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، عمان، 2016، ص6.

[13] نهلة عبد الخالق مرجع سبق ذكره ص 415.

[14] سهيلة دهماني، التمثيل كوسيلة تعبيرية في الفيلم التسجيلي الدرامي، مجلة آفاق للعلوم، المجلد1 العدد2 ، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2016، ص 103.

[15] العدوى بفيروس كورنا، موقع منظمة الصحة العالمية، تاريخ نشر التحديث الأخير 05 جوان 2020، تاريخ الزيارة 11 جوان 2020، الرابط:
https://www.who.int/csr/disease/coronavirus_infections/ar/

[16] مرض الكورونا كوفيد 19، موقع منظمة أطباء بلا حدود، تاريخ الزيارة 11 جوان 2020، الرابط:
https://www.msf.org/ar/%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%AF-19

[17] تساو تشاولونغ: دليل الحماية الذاتية للأسر ضد فروس كوفيد 19 – المراجعة الأحدث، دون اسم مترجم، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار ثقافة، ط1، بيروت/ الرياض، جوان 2020، ص 13.

* تتيح دار النشر نسخة رقمية مرخصة ومجانية من الدليل على موقعها الالكتروني، ويمكن تحميلها للحصول على مالعلومات الموثوقة من موقع الدار على الشبكة.

[18] فريق تحرير موقع الجزيرة.نت: الوباء والجانحة، مفهومان مختلفان فما الفرق بينهما؟، تاريخ النشر 15 مارس 2020، تاريخ الزيارة 11 جوان 2020، الرابط:
http://mubasher.aljazeera.net/news/%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%AE%D8%AA%D9%84%D9%81%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%82-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A8%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D8%A6%D8%AD%D8%A9%D8%9F

6. قائمة المصادر والمراجع:

أ- الكتب بالعربية أو المترجمة إليها:

1. إياد الداود: فن التقصي: الفيلم الوثائقي التحقيقي، معهد الجزيرة للإعلام، ط1، الدوحة، 2019.
2. بيزلي ليفجستون وكارل بلاتيناي، دليل روتليدج للسينما والفلسفة، تر أحمد يوسف المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2013.
3. تساو تشاولونغ: دليل الحماية الذاتية للأسر ضد فروس كوفيد 19 – المراجعة الأحدث، دون مترجم، الدار العربية للعلوم ناشرون ودار ثقافة، ط1، بيروت/ الرياض، جوان 2020.
4. جورج خليفي ونبال ثوابتة: الفيلم الوثائقي دليل مقترح، منشورات مركز تطوير الإعلام لجماعة بيرزيت، ط1، بيرزيت، 2014.
5. حسن أبو حشيش وطلعت عيسى: الصحافة الاستقصائية، مطبوعات كلية الآداب الجامعة الإسلامية، ط1، غزة، 2018.

6. علي عزيز بلال: الفيلم التسجيلي التلفزيوني، من الفكرة إلى الشاشة، الهيئة السورية العامة للكتاب، ط1، دمشق، 2013.
7. لؤي الزعبي: الأفلام الوثائقية، منشورات الجامعة السورية الافتراضية، وزارة التعليم العالي السورية، ط1، دمشق، 2016.

ب- الكتب باللغات الأجنبية:

1. Andrew Goodwin, Garry Whannel; Understanding Television; ed Routledge; London; 2006
2. Paul Ward: Documentary: The Margins of Reality; Columbia University Press and wallflower; Colombia; 2005

جـ المقالات العلمية:

1. سهيلة دهماني، التمثيل كوسيلة تعبيرية في الفيلم التسجيلي الدرامي، مجلة آفاق للعلوم، المجلد1 العدد2 ، جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2016.
2. نهلة عبد الخالق: دراسة تحليل مضمون للأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية الفضائية، مجلة كلية الآداب، العدد 98، الرياض، 2011.

د- رسائل الماجيستير وأطاريح الدكتوراه:

1. عمر نبيل سعيد: تلقي الفيلم الوثائقي والفيلم الروائي المبني على واقعية، دراسة تجريبية مقارنة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الإعلام، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، عمان، 2016.

هـ – المواقع الإلكترونية:

1. موقع الجزيرة نت: الوباء والجانحة، مفهومان مختلفان فما الفرق؟: www.aljazeera.net
2. موقع منظمة أطباء بلا حدود: www.msf.org
3. موقع منظمة الصحة العالمية: www.who.int